خطبة جمعة مفرغة

بعنوان

البيان بأن الظلم سبب هلاك الأمم وخراب البلدان

لفضيلة الشيخ

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله

الجمعة ٦ من ذي القعدة ١٤٤٤ هجرية

مسجد إبراهيم شحوح سيئون

أبو عبد الله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس : ميز الله من يعقل ممن لا يعقل فقال :{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)}[الأنعام:179].

وقال الله جل وعلا:{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)}[الفرقان:44].

فالأنعام التي ما تعقل غير مكلفة، أما الإنسان فإنه مكلف، قال الله سبحانه وتعالى :{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26)}[الأحقاف:26].

أي أنهم سيروا هذه الجوارح كالمعطلة، ولذلك لما ركب الله في الإنسان هذا العقل أمره بالسير والتفكر في الأرض، أمره بالتفكر، فقال

عز من قائل :{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)}[الحج:46].

فالذي ما سخر هذه الجوارح في التفكر فيما خلق له، وفي حال من مضى قبله، وفي حاله ووقته، وفي مسيرته وآخرته، وفي مثل ذلك مما أمر الله عز وجل بالسير فيه تفكر فيه، هذا ما استفاد من ما مكنه الله منه،فبعد أن ذكر الله عز وجل هلاك الأمم أمر بالسير في الأرض: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (45)أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ }الآية.

أخبر الله عز وجل عن هلاك تلك القرى أنها أهلكها بسبب الظلم، فصارت بعد الهلاك آبارهم معطلة، ليس أحد يردها، وقصورهم المشيدة أيضا خاوية على عروشها ليس أحد يسكنها، ما فيها أحد، كل هذا مما يجب السير في الأرض والتفكر فيه، أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، وإنك إذ تتدبر كتاب الله ترى نظائر هذه الآية في كتابه كثير، وأن الله عز وجل ما أهلك قرية إلا بالظلم، تلك القرى كلها التي قص الله هلكتها كلها كان سبب هلكتها الظلم، فالظلم سبب زوال الأمم، وهلاك الأمم، ودمار الأمم، {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (45)} كلها خاوية ما فيها شي، أين تلك القصور والساكنون فيها والأمم التي كانت تعمرها ذات القوة؟ دمرهم الظلم، دمرهم الله بظلمهم، قال الله سبحانه وتعالى:{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9)}[الروم:9].

ما الذي دمر هؤلاء الذين أمرنا أن نسير في الأرض نتذكر سريتهم،

نتفكر فيهم، نقرأ كتاب الله نتدبر ذلك، ما قص الله علينا هذه القصص إلا لنعتبر، إلى أن نتدبر ونسير ونتفكر، فإن هذا هو النافع المستفيق ليستفيده العبد أن يتفكر، حتى قال الله عز وجل لنبيه:{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا}[سبإ:46].

يعني أعظكم به أن تتفكروا ما السبب لماذا يتفكرون؟ قال:{مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ} فإنهم إذا قاموا متفكرين متدبرين لخلقهم ونشئهم وحالهم ومن بعث إليهم كان نافعا لهم، لكن ما فعلوا، {أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)}

فاستفد يا عبد الله استفد، تفكر سر في الأرض سر كما أمرك الله، وأثاروا الأرض وعمروها، أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة، نحن ضعاف، نحن ضعاف بجانب من قبلنا نحن ضعاف:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)}[الفجر:6،13].

كل هذا آثار ظلمهم، هذي الأمم القوية الشديدة الذين وصف الله أحوالهم، نحن بجانب تلك الأمم ضعاف، ضعاف البنية، ضعاف الأجسام، ضعاف ماذا نكون؟ أمة اشداء أهلكها، أثاروا الأرض زراعة، عمروها بنيانا، أثاروا الأرض بشتى وسائل الإثارة ولكن أتى إليهم الظلم فدمرهم، أخمدهم الله بسبب الظلم، قال الله سبحانه:{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44)}[فاطر:44].

ماذا تصنع قوتهم بجانب قوة رب العالمين، هو الذي أعطاهم وأعدهم وأمدهم وقواهم فما استغلوا ذلك، البلاد اليمنية قوم سبأ ظلموا أنفسهم هلكوا بسبب الظلم، قال الله سبحانه وتعالى:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ }

كلوا اعبدوا الله تنعموا كلوا من رزق الله واعبدوا الله،{بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15)} إن عبدتموه، {بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15)فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18)}

انظروا الظلم الآن كيف فعلوا، الأماكن متقاربة وقرية بجانب قرية يعني من حين إلى آخر وهم في نعمة، لا فلوات، لا انقطاعات، لا جوع، لا عطش، قدرنا فيها السير، {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ} هذه عواقب الظلم، ظلمت نفسك ظلمت غيرك ظلم، الظلم عاقبته وخيمة، الظلم عاقبته وخيمة دنيا وأخرى، فإنه سبب لكل خيبة ، تحرم من أمور كثيرة بسببه، تحرم الرزق بسببه، تحرم الهداية بسببه، تحرم التوفيق بسببه، تحرم الخير بسببه، وهكذا :{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)} خاب محكوم على الظالم بالخيبة، محكوم عليه بالخيبة الشاملة لجميع معاني الخيبة، خائن خاسر دنيا وأخرى، مهما ملك، مهما حكم، مهما تزمجر خائب خاسر، هذه هي أسباب هلاك الأمم، ما دمر الله تلك القرى إلا به،{وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (59)}[الكهف:59].

أي أملالهم حتى استدرجهم، هذه سنة الله في الظالمين، أنه يملي لهم{سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183)}

فقال الله سبحانه وتعالى:{حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (44)فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)}[الأنعام:44،45].

سنة الله يستدرجهم، يملي لهم، نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ، ولما قال نبي الله إبراهيم قال الله عز وجل:{ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)}[البقرة:124].

ذريتك الصالحون، يكون إمام صالح، أما من كان من ذريتك من الظلمة لا عهد له عند الله، لا ينال عهد الله، لا ينال أمان من الله لا في دنيا ولا في أخرى، ليس بآمن أبدا ماله عهد عند الله ولا أمان، قال الله سبحانه وتعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (82)}[الأنعام:82].

أما من ألبس إيمانه بظلم ليس بآمن أبدا، والله له آمن في أخرى، والله له سعيد في دنيا ولا آمن فيها، إنما هو استدراج، الظالم غبي، الظالم من شدة الحرمان والخذيلة عليه يصير غبيا، ولهذا يعتبر الاستدراج له من الله عز وجل وما يُملى له مع ظلمه يعتبره أنه نعمة في حقه، إذا رأيت الله يملي للظالم على ظلمه فاعلم أنه يستدرجه وهو يتمادى في المعاصي، أمم كثيرة أملالها وأخذها، هذه سنته، {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)}[هود:102].

هذا الذي يملى له الله ويتركه الله عز وجل يستزيد من المعاصي والعظائم والجرائم، إذا بطش به بطشا بطش به شديدا، إذا أخذ به {إِنَّ

بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14)}

فهو يبطش بالظالمين ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وقال الله سبحانه معرضا بتلك القرية مكة ينبه لمشركي قريش:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً} انظروا الظلم ماذا سيصنع بها بعد ذلك، كيف فوت عليها الأمن، ويفوت عليها الاطمئنان، ويقعون في الهلاك:{يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ}

ماذا أبدلهم الله{فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)} الباء هنا سببية، أي بسبب صنيعهم بسبب ظلم، بسبب الظلم عاد عليهم تلك النعمة والأمن والرغد جوع وخوف وهلكة، قص الله عز وجل علينا تلك الأمم جميعا لقوله:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38)وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39)فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ }هذه الأصناف كلها :{فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ} وما بسبب ماذا هذا قال:{

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)}[العنكبوت:40].

كل هذا نتيجة ظلمهم، هذا العذاب كله نتيجة ظلمهم.

وقص الله علينا حال الظلمة بقوله:{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} أنعم الله عليها فقابلت النعم بالبطر:{فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58)وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (59)}[القصص:58،59]. هذا عموم فيه اثبات وفيه

نفيان، الله أثبت أن أهلك تلك القرى، وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها، وهكذا أيضا أثبت أن بيوتهم ما سُكنت، لم تسكن بعدهم، دمرها الله وصارت خرابا، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسول يتلو عليهم آياتنا، تأتيهم النذار والحجة، وما كنا مهلك القرى إلا وأهلها ظالمون، وهذا هذه سنة الله أن الله ما يهلك القرى إلا إذا حصل الظلم فيها، إذا ظلمت، أما ما زالت ملازمة للعدل فيما بينها وربها، وبينها والعباد، ومع أنفسها، أنصفوا فإنها ما تهلك، بل لا تزال في الازدياد والخير في النعم، {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ} وإذا أراد الله هلك بعض الأمم ربما سلط عليهم بعض المترفين منهم، ويتمالؤون معهم ويسكتون عنهم ويدمرهم، قال الله :{فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)}[الشمس:14،15].

وقال :{ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16)}[الإسراء:16].

فهلاك الأمم من أسباب الظلم، وغالب ما يأتي الظلم والهلكة على الأمم من المترفين الذين يسكت عنهم ولا ينكر عليهم ويقر فعلهم، هذه سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه هلاك الأمم بالظلم.

فيا عباد الله فشى الظلم في الناس، لهذا وجب تعاهد الناس من حين إلى آخر بالتحذير منه، قل أو كثر صغر أو كبر، الظلم ليس منه شيء صغير، ليس منه ذنب صغير أبدا، الظلم كله من أعظم كبائر الذنوب، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرسل شخصا إلى بلد يوصيه أن يحذر دعوة المظلوم، كما فعل مع معاذ أنه لما بعثه لليمن قال:إِنَّكَ ستأتي قَوْمًا أهلَ كتابٍ ، فإذا جئتَهم فادْعُهم إلى أنْ يشهدُوا أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنّ محمّدًا رسولَ اللّهِ ، فإنْ هم أطاعوا لَكَ بذلِكَ ، فأخبرْهم أنّ اللّهَ قدِ فرَضَ عليْهِمْ خمسَ صلَوَاتٍ في كلّ يومٍ وليلَةٍ ،

فإنْ هم أطاعوا لكَ بذلِكَ ، فأخبرْهم أنّ اللّهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً ، تُؤْخَذُ منْ أغنيائِهم ، فتردُّ على فقرائِهم ، فإنْ هم أطاعوا لكَ بِذَلِكَ ، فإيّاكَ وكرائِمَ أموالِهم ، واتّقِ دعوَةَ المظلومِ ، فإنّه ليسَ بينها وَبينَ اللّهِ حجابٌ.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : اللّهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور ودعوة المظلوم.

فيوصي معاذ أن يتق دعوة المظلوم، وهو يستعيذ من دعوة المظلوم من الحور بعد الكور ودعوة المظلوم، بل ويستعيذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يظلم أو يظلم، كما ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها قالت:"كانَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ يقولُ إذا خرَجَ من بيتِهِ : اللّهمّ إنّي أعوذُ بِك مِن أن أضِلّ أو أزِلّ أو أظلِمَ أو أُظلَمَ أو أجهَلَ أو يُجهَلَ عليّ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة، أما بعد أيها الناس: إن من ابتلي بالظلم ابتلي بكل بلية، وبكل مصيبة، وبكل ما يسبب هلكته، ومن نجاه الله عز وجل من الظلم فقد نجاه من عظيم، فيا أيها المسلم احرص على نفسك دائما وأبدا أن تلقى الله عز وجل وأنت بريء من الظلم، ولا تذهب حسناتك للمظلومين، إن كانت لك حسنات كلها تصير في موازين المظلومين، فتجمع لغيرك، أنت الآن تحصد لغيرك أيها الظالم، ولا تسلم أيضا من السيئات على الكهل، ثم تؤخذ من سيئات المظلومين على الظالم، لحديث أبي هريرة في صحيح مسلم، أن النبي وسلم قال مخبرا عن من يأتي يوم القيامة بأعمال صلاة وصيام وزكاة هذا شأن مسلم، هذا حال مسلم، دعك من الكافر المجرم، مسلم يأتي هذا حاله، ما ظنك به يأتي لصلاة يأتي بصيام يأتي بصدقة، لكن مع هذه الأعمال ومع الإسلام ذهبت هذه الأعمال كلها للناس، هذا عامل لغيره هذا، أليس هذا كله من الفشل والحسرة والندامة أن تعمل لغيرك، قال :" يأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته ولهذا من حسناته توزع، ما هناك أروش، ولا هناك إلا حسنات وسيئات، قال فإن فنيت حسناته حسنات هذا المسلم أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار.

هذه المظالم أنت تظن أنها مظالم قد تكون ما تتصورها، هي قد تكون كلمة، قد يكون قول، يكن فعل، يكن مالي، يكن عرضي، يكن وجاهي، يكن، الحاصل أنها مظلمة، مظلمة ما تذهب عند الله عز وجل، ولن يغفل عنها رب العالمين أبدا، المظالم لا يغفل الله عنها وسائر

الشؤون:{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)}[الكهف:49].

قال:{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}[إبراهيم:42].

لأن الناس يستعجلون، وهذا طبع البشر أنه يستعجل على الظالم، لهذا قال الله{فلا تستعجل لهم} الله أخبر عن نبيه أنه استعجل حال ظلمه{وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)}[محمد:35]

وفي الآية الأخرى{إلا القوم الظالمون} الهلكة عليهم، تقسم ظهورهم،{وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) }[الأنبياء:11]

تقسهم يقسمون، لا تستعجل لهم،{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)}[إبراهيم:42].

هذه سنة الله في خلقه أنه يؤخرهم ويملي لهم، وقد يؤخذ في الدنيا قد يؤخذ فيعاقب عاجلا وعاجلا، فلا تغفل أيها العبد عن مثل هذه الأدلة والتفكر والسير في الأرض والنظر في أحوال من اهلكهم الله بظلمهم، ومن نجاهم الله من الظلم، قل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، إذا نجاك الله من الظلم وأهله ومن الركون إليهم فقد نجوت:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}

إذا ركنت إلى ظالم أعنت ظالما عرضت نفسك لجهنم، ولهذا قال النبي صلى الله لكعب بن عجرة : يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال : قوم يكونون بعدي أمراء يكونون بعدي لا يستنون بسنتي ولا يهتدون بهدي.

يعني هؤلاء أمراء سفهاء الذي لا يعتني بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بسنته ولا بطريقته، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على

ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض. هذي نعمة أنك تجنب حال الظالمين وتبعد عنهم، ولهذا قال الله عز وجل لما شكى نوح عليه الصلاة والسلام قومه قال :{قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (27)فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) }[المؤمنون:27،28].

النجا من الظلم والنجا من أهله والبعد عن أهله نعمة، لأن القعود معهم هلكة دنيا وأخرى، قال الله سبحانه وتعالى:{وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68)}[الأنعام:68].

حتى القعود معهم هلكة ما يجرونك إلا إلى الويلات، فاحمدوا الله أيها المؤمنون، الذي نجاه الله من الظلم ونجاه من أهله ونجاه من مجالسة الظلمة ومن التعاون مع الظلمة ومن الركون إلى الظالمين من كافرين ومشركين ومنافقين وضلال وسائر من ذلك والله إنه قد حصل على خير كثير،{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177)}[الأعراف:175،177].

هذا مثل ضربه الله عز وجل لنا لنعلم سوء حالهم، فإذا نجوت من سيء الأحوال الله قد أكرمك، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون.

وقال في في سورة الحشر قال:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} هذه القصص من أجل ماذا؟ قال:{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2) }[الحسر:1،2].

الله قص لنا سورة يوسف وما حصل له من الابتلاء وما حصل من الظلم من إخوته، ثم قال :{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)}[يوسف:111].

هذا هو المقصود أن يسير الإنسان بعقله، أن يسرح بعقله، ويسير بتفكره وتدبره بما أبانه الله له في كتابه، عواقب الظالمين، قال : {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (8)فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (9)}[الطلاق:8،9]

الله أنزل إلينا هذا الكتاب رحمة حتى لا نقع في الهلاك، حتى لا نقع فيما وقع فيه من حذره الله أن نسكن في مساكنهم، قال الله:{وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45)وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)}[إبراهيم :45].

سببه الهلكة، وذكر الله ثمود مع صالح عليه الصلاة والسلام كادوا له ومكروا به، تمالأوا على قتله، قال:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45)} مسلمون وكافرون، المسلمون مع صالح عليه الصلاة والسلام، والكفار ضده، {فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45)قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ

ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) } نعمة دعاهم، أي اتركوا السيئة لا تستعجلوا الهلكة،{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47)وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48)} ذكر ابن كثير أنهم كبار القوم، رهط تسعة أشخاص هم أكابر القوم ومنهم عاقر الناقة، يفسدون في الأرض ولا يصلحون، قام هؤلاء التسعة باجتماع وتبايع وتدبير مكيدة على قتل صالح وأهل بيته، ما هو صالح فقط اس‌تئصال للبيت كله، {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} والبيات معروف أنه يقتل البيت ومن فيه، ما قالوا نبيتنه وحده بل هو والأهل،{لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49)} أي يهلكونهم في الليل وبعد ذلك يحلفون ويكذبون يقولون لأهله ولقومه ما ندري، ما شهدنا ما حضرنا ما ندري من قتله ومن قتل أهله، مكايد لا تخفى على الله، {لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49)} قال الله :{وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50)} هم يمكرون لكن مكر الله بهم وهم لا يشعرون، {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51)فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ} انظر كيف الظلم مكايد لنبي من أنبياء الله ظلم، مكايد ظلم، اعتداء عليه وعلى أهله، وأيمان وجحود،{فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51)فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52)}.

نسأل الله أن يجنبنا الظلم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.